﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

انـتـقـالُ الجـنِّ من الحديثِ عن مـصـيرِ البـشـر إلى الحديثِ عن أنفسهم

بعد أنِ اعترفَ الجنّ بعدم درايتهم بمصير أهلِ الأرض، وما يُراد بهم من الشرّ والخير، وإقرارهم بأنّ اللّه هو الذي يهدي، ويضل بحكمته؛ التفتوا للحديث عن ذاتهم بأنّ منهم من اتّصف بالصلاح، ومنهم من كان غير ذلك؛ فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: جمعُ صالح، والصالحُ: الَّذي يُؤَدّي إلَى اللّه ﷻ ما افترضَ عَلَيهِ، ويُؤَدّي إلَى النّاس حُقوقهم، والمُصْلحُ: المُقيمُ على الإيمان المُؤَدّي فَرائِضه اعتقادًا وعَملًا، وأصلُ (صَلَحَ) يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الفَسادِ، ومن المجاز: أصلَحَ إليه: أحْسَن[1]، وأصْلَحَ: أتى بالصّلاحِ، وهو الخيرُ والصّواب، ومن الصّلاحِ: السّلامةُ من الخطايا المعوقة، والعملُ الصّالح هو الذي يتّفقُ، ويلتئمُ مع ما يطلبهُ الشّرع، أو يرضاه[2]، ومعنى ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم، وفي معاملتهم مع غيرهم[3].

2) ﴿طَرَآئِقَ﴾: جمع طريقة، والطَّريقةُ: السّيرةُ والنَّهْجُ والأسلوبُ والمسلك والمذهب، وطَريقَةُ الرَّجُلِ: مَذْهبه، يُقالُ: ما زالَ فُلانٌ عَلَى طَريقة واحِدَةٍ، أي: عَلَى حالَةٍ واحِدَةٍ[4]، وطَريقَةُ القوم: أماثلُهم وخيارهم، يُقال: هذا رجلٌ طَريقَةُ قومِه، وهؤلاء طَريقَةُ قومِهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (صلح).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صلح).
(3) وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 44.
(4) ابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طرق).

وطَرائِقُ قومِهم أيضًا، للرجال الأشراف[1]، ومعنى ﴿طَرَآئِقَ﴾: مذاهب أو أهواء مختلفة، وفِرَقٌ شتّى[2].

3) ﴿قِدَدًا﴾: جمع قدّة، والقافُ والدّالُ أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَطْعِ الشَّيْءِ طولًا، ثُمَّ يُسْتَعارُ، يَقولونَ: قَدَدْتُ الشَّيْءَ قَدًّا؛ إذا قَطَعْتَهُ طولًا أقُدُّهُ، والقِدَّةُ: الطَّريقَةُ والفِرْقَةُ مِنَ النّاسِ؛ إذا كانَ هَوَى كُلِّ واحدٍ غَيْرَ هَوَى صاحِبِهِ[3]، ومِنْه قَوْله ﷺ: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، قالَ الفرّاءُ: معناه كُنّا فِرَقًا مُخْتَلِفَةً أهْواؤُها[4]، فالقددُ هي الضروب والأجناس المتفرّقة المختلفة[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حديثُ الجنّ عن أنفسهم وواقعهم وما كانوا عليه

يقولُ تعالى ذكره مخبرًا عن قيل الجنّ وبيانهم لحالهم قبل استماعِ القرآن: وأنّا منا الموصوفونَ بصلاحِ الحالِ في شأنِ أنفسِهم وفي معاملتِهم مع غيرِهم، المائلونَ إلى الخيرِ والصلاحِ حسبما تقتضيهِ الفطرةُ السليمةُ، ومنا دون الصالحين، وأنّا كنا أهواء مختلفة، وفِرَقًا شتى[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة عطف قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾ على ما قبلها:

جمعٌ بين اعترافِ الجنّ بعجزهم عن معرفة مصير الإنس وإقرارهم بواقعهم وما كانوا عليه

عطفَ البيانُ القرآني قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ على ما قبله؛ إذ هذه الآية من تتمّة كلام الجنّ، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ اعترافٌ من الجنّ بعجزهم عن معرفة مصير الإنس من الخير والشر، وفي هذه

(1) الجوهري، الصحاح: (طرق).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 659، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 44.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدّ).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (قدد).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 659، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 44.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 44، والهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 302.

بيانُ حقيقة مجتمعهم وما كانوا عليه، بأنّ منهم الصالح المستقيم، ومنهم دون ذلك، فهُم لا يدّعون الكمال لأنفسهم.

دلالة تكرار ﴿وَأَنَّا﴾:

تكرارٌ يُقصدُ منه تأكيدُ الخبر

قولُه تعالَى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ من تتمّة قول الجن، وقد أعاد البيانُ القرآنيّ كلمةَ ﴿وَأَنَّا﴾؛ لتأكيد الخبر؛ لأنّهم كانوا في جهالةٍ عن ذلك، ثم بيّنوا هنا أنّهم أيقنوا بأنّهم فريقان فريقٌ صالحون، وفريقٌ ليسوا بصالحين، وأنّهم كانوا فرقًا ومذاهبَ مختلفة.

معنى (مِنْ) في قوله: ﴿مِنَّا﴾:

الصالحون جزءٌ من مجتمعِ الجن

حرفُ الجر (مِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ للتبعيض، يدلّ على أنّ بعضَ الجنّ كانوا صالحين، وليسوا جميعهم، والمعنى: بعضنا صالحون، وبعضنا دون ذلك، وهذا يتناسبُ مع السياق الذي يقسم مجتمعهم إلى فريقين، وأنّهم كانوا طرائق قددًا.

إيثار التعبير بوصف الصلاح في قوله: ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾:

صلاحُ حال فريقٍ من الجن مع أنفسهم ومع غيرهم يوحي بفطرتهم السليمة

عبّر البيانُ القرآني بوصف الصلاح في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، دون غيره من الأوصاف، فلم يقل: (المؤمنون، أو المسلمون)؛ لكون وصف الصلاح هنا أنسب؛ إذ السياقُ عن وصفهم لحالهم، وما كانوا عليه قبل استماعهم للقرآن، من صلاحِ الحالِ في شأنِ أنفسِهم وفي معاملتِهم مع غيرِهم، وميلهم إلى الخيرِ والصلاحِ حسبما تقتضيه الفطرةُ السليمةُ، فوصفُ الصلاح يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الفَسادِ، ويدلّ على الخير والصواب، فضلًا عن أداء حقوق اللّه وحقوق العباد[1].

معنى اللام في ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ومجيئه اسم فاعل مجموعًا:

اللام في قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، هي (لام) الكمال التي تفيدُ العموم، والمعنى: منا العريقون الكاملون في صفة الصلاح، التي

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (صلح).

هي مهيئة لقبول كلّ خير، كأنّهم لم يعتدّوا بصلاح غيرهم[1]، وفي التعبير بصيغة اسم الفاعل مجموعًا ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، فلم يقل: (وأنّا منا الصالح)؛ تناسبًا مع سياق الخطاب الجماعي، وللدلالة على كثرةِ الصالحين منهم، وأنّ صفة الصلاح ليست صفة فردية، وأنها صفة ثابتة وراسخة فيهم وملازمة لهم، مما يعطي قوة في التأثير والدعوة إلى الخير والصلاح.

كـثرةُ الكاملين الثابتين في صفة الـصلاح تبعثُ قـوّة في التأثير والدعوة

بلاغة حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه:

اكتفى البيانُ القرآني في قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بذكرِ الصفةِ ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ عن ذكرِ الموصوف، فلم يقل: (وأنّا منا فريق صالحون)؛ وذلك لكونه مفهومًا من السياق، وللاهتمام والتركيزِ على الصفةِ، وهي صفةُ الصلاح.

صـفـةُ الـصلاح مـحـطُّ عـنـايـةٍ واهتمامٍ

سر إعادة (منا) في قوله: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أعادَ الجار والمجرور (منا)؛ لإظهار التقابل التام بين الصنفين، وللتأكيد على الاستقلال والفصل بينهما لمنع التداخل، ولو قيل: (وأنا منا الصالحون ودون ذلك)؛ لاحتملَ أن (دون ذلك) يعودُ على بعض الصالحين، أي: منهم من هو دون كمال الصلاح، وهذا غير مراد، فالإعادةُ قطعت هذا الاحتمال.

في الاستـقـلالِ والـفـصـل بين الـصـنـفين منعٌ للتداخل بينهما

سر التعبير بقوله: ﴿دُونَ﴾:

عبّر البيانُ الإلهي بلفظ ﴿دُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ التي تدلّ على الظرفية المجازية في قوله: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ للإشارة إلى أنّ فريق غير الصالحين أدنى في الرتبة والدرجة من الصالحين، أي: في مكان منحطّ عن الصالحين، فهُم تفطّنوا

فـريـق غـير الـصـالـحـين منحطٌّ عن مرتبة الصالحين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 480، والهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 302.

لمراتب العلوم والأعمال المقرّبة والمبعدة، فقالوا: ومنا دون ذلك، أي: قوم في أدنى رتبة من ﴿ذَٰلِكَ﴾[1].

بلاغة حذف الموصوف في قوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ حُذف الموصوف، وبقيت الصفة ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دالّة عليه، ولم يقل: (ومنا فريق دون ذلك)، والسببُ أنّه يُحذفُ الموصوفُ إذا كان بعض اسم مجرور بحرف (من) مقدّم عليه، وكانت الصفة ظرفًا - كما هنا[2] - أي: من بلاغةِ الإيجاز حذفُ الموصوف؛ إذا دلّ ما قبله عليه.

سرّ العدول في التعبير بـ: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾:

التلطّفُ من أبلغ أساليب الدعوة والإرشـــاد إلى الخير

قابل البيانُ القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ بين لفظ ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، ولفظ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾، ولم يقل: (ومنا الطالحون، أو الفاسدون)؛ لبيان شمول توصيف النفر من الجنّ لقومهم؛ لكونه يشملُ كلَّ أصنافهم من المتكلّمين في الصلاح وغير الكاملين في الصلاح والطالحين الفاسدين بجميع درجاتِ فسادهم؛ لأنّ غير الصالح قد يكون فاسدًا، بأنْ يكون مباشرًا للفسادِ قاصدًا له، وقد يكون غير مباشر له، وهذا أنسبُ مع وصفهم: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، ولو عبّر بالطالحين؛ لاقتصرَ المعنى عليهم، ولأنّ المقامَ هو مقامُ دعوة الجنّ لقومهم، فلم يصارحوهم بنسبتهم إلى الفسادِ تلطُّفًا معهم، وهذا من بليغِ العبارات في الدعوة والإرشاد إلى الخير[3].

بيانُ بُعد منزلةِ الصالحين في الشرف والعلوّ في مقابلة الانحطاطِ والدنوّ

وجه التعبير باسم الإشارة للبعيد ﴿ذَٰلِكَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مرجعُ الإشارة إلى الصالحين، ولكنّه عبَّر عنه بالبعيد مع أنّه ذكر

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 480، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 232.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 232.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 480، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 232.

قريبًا؛ للتنبيه على "هذا الوصف الشريف العالي"[1]، والمعنى: منا الصالحون ومنا دون ذلك الوصف الشريف العالي، ممّا يدل على التفاوت الكبير والبون الشاسع بين الوصفين، ويظهر التقابل بين الوصف العالي الشريف، والوصف السافل الحقير.

بلاغة التشبيه في قوله: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾:

تشبيهٌ غرضه تقريبُ المعاني والتأثير على النفوس

في قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، شبّه الجنّ اختلافَ أحوالهم وعقائدهم بالطرائق المختلفة، التي يؤدي كلّ طريق منها إلى مكانٍ مختلفٍ عن الآخر[2]، وهو تشبيهٌ ذُكِر فيه المشبهُ به: وهو الطرائق المختلفة، وحُذف المُشبه: وهو اختلافُ المذاهب والعقائد؛ لدلالة السياق عليه، وحُذفت أداةُ التشبيه؛ لسهولة تقديرها، وتقدير الكلام: "كنا في اختلافِ أحوالنا مثلَ الطرائق المختلفة"[3]، وهذ التشبيهُ وسيلة تصويرية غرضها تقريبُ المعاني والتأثير على النفوس بعقد هذه المماثلة بين اختلافِ العقائد واختلاف الطرق.

دلالة التعبير بفعل الكينونة الماضي:

بيانُ حال الجنّ من التفرُّق والاختلاف قبل سماعهم القرآن

عبَّر البيان القرآني بفعل الكينونة الماضي ﴿كُنَّا﴾، في قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾؛ للدّلالة على حالهم في الماضي، أي: قبل سماعهم للقرآن، فقد كانوا مذاهب وفرقًا مختلفة، ويدلّ فعل الكينونة كذلك على الدوام، ممّا يشيرُ إلى بقائهم على هذا الحال طوال الوقت الماضي.

دلالة التعبير بقوله ﴿طَرَآئِقَ﴾ مادة وصيغة:

تفرُّقُ الجنّ إلى طرائق كثيرة ومتنوعة يدلّ على الاختلاف الشديد في الضلال قبل الإسلام

عبّر النظمُ الحكيم بلفظ ﴿طَرَآئِقَ﴾؛ لاتّساع دلالته ومناسبته للسياق، فطرائقُ جمع طريقة، والطَّريقةُ: السّيرةُ والنَّهْجُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 480.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 232.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 627.

والأسلوبُ والمسلك والسبيل والمذهب والحالة[1]، والطرائقُ هي المذاهب والأهواء المختلفة، والفرق[2]، فدلَّت هذه المعاني على أنّ فريقَ الجنّ الذين من دون الصالح، ذو أنواع كثيرة في النهج والأسلوب والمسلك والمذهب والحالة، فهُم وجوهٌ متنوعة بحسب قابلية كلّ نوع للفساد أو الصلاح وتهيئه له أو بعده عنه، وقد جاء لفظ ﴿طَرَآئِقَ﴾ بصيغة الجمع المنكر منسجمًا مع هذه المعاني، ودلالتها على الكثرة والتنوُّع، ومتناسبًا مع صيغ الجمع في السياق، كل هذه المعاني تدلّ على التعدُّد والاختلاف الشديد في الضلال قبل الإسلام، مما يظهر عظمة نعمة الهداية التي تجمع على طريق واحد، وهو الإسلام.

بلاغة حذف المضاف في قوله: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾:

حذف البيان القرآني المضاف في قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، والتقدير: (كنا ذوي طرائق) أو (كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق)؛ إذ أطلقوا الطرق على أصحابها؛ إشارة إلى شدّة تلبّسهم بها[3].

في إطلاق الطرق على أصحابها إشارةٌ إلى شدّة تلبّسهم بها

سر وصف الطرائق بقوله: ﴿قِدَدًا﴾:

في وصف الطرائق بـ﴿قِدَدًا﴾ زيادةُ تأكيدٍ على شدّة التفرّق والتقطّع، وإيثار لفظ ﴿قِدَدًا﴾ دون (متفرقة)؛ لكون ﴿قِدَدًا﴾ أبلغَ من (متفرقة)، فالقددُ من القدّ، وهو القطعُ الطولي العميق الموجب للتفرّق العظيم، بحيث تصير كلّ فرقة على حدتها[4]، وفي هذا تصويرٌ لحالهم في شدّة التباعد وعمق الاختلاف بينهم في الأهواء والملل والنحل قبل الإسلام.

تصويرٌ لشدّة تباعدهم وعمقِ اختلافهم في الأهواء والملل والنحل قبل الإسلام

(1) ابن منظور، لسان العرب، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (طرق).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 659، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 44.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 298، والبقاعي، نظم الدرر: 20/ 480.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 481.

نكتة تنكير ﴿قِدَدًا﴾:

نكّر البيانُ القرآني ﴿قِدَدًا﴾ تناسبًا مع الموصوف ﴿طَرَآئِقَ﴾، الذي جاء نكرة، ولإفادة التكثير والتنويع والتهويل، فكأنَّ الضلالات والاختلافات التي كانوا عليها متنوّعة وكثيرة جدًّا لا تُحصى، مما يظهر فداحةَ الضلال قبل الهداية، ويُعرِّض "بذم الاختلاف بين القوم، وأنّ على القوم أنْ يتحدوا، ويتطلبوا الحقّ؛ ليكون اتّحادهم على الحق"[1].

الاختلافاتُ الكثيرةُ والمتنوّعة للجنّ قبل الإسلام تظهرُ فداحة الضلال قبل الهداية

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 2333.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"